أضواء على حياة

عائشة
أم المؤمنين

المقال الثاني - بقلم: د. رشدي عزيز محمد - كلية التربية
جامعة الرياض

■ كانت الصديق نساء النبي به فلم تتزوج بكرا غيرها ولم تزوج امرأة.

ايها الاخوة المسلمون والاخوات المسلمات. في عدد ماضى من هذه المجلة الاسلامية الموقرة وتحت هذا العنوان وصلت بقرائي الافاضل الى ان الرسول الكريم حين استقر به وبصحبه المقام في المدينة المنورة ارسل هو وصاحبه ابو بكر الصديق في طلب اهلهما واختارا لهذه المهمة زيد بن حارثة وعبدالله بن أريقط، وقام الرجلان بالمهمة خير قيام وبهذا اجتمع الشمل والتقى الاحبة في هذا الموطن الجديد.

وفي هذا العدد نتابع حديثنا معكم في هذا الموضوع فنقول:

ان اسرة الصديق قد وصلت الى المدينة حقا، غير ان الاحداث التي مرت بها الدعوة الاسلامية ورسولها آنذاك لم تترك للرسول الكريم فرصة تمكنه من ان يبني بزوجه في مستقره الجديد. وذات يوم كان ابو بكر يتكلم مع الرسول فوجد الفرصة مواتية فتكلم معه في امر الدخول بعائشة، ووافق الرسول الكريم أبا بكر على رأيه واستجاب لمشورته وبنى بعائشة الطاهرة.

إيه يا عائشة، ما اهناك بهذا الزواج، وما اكثر سعادتك وقد ضمك بيت النبوة بروحه العالي، لقد

اصبحت يا أم المؤمنين تحظين بجوار احب خلق الله الى الله، بصاحب الخلق العظيم، بمن وصفه القرآن الكريم بقوله: (بالمؤمنين رؤوف رحيم).

والحق ان السيدة عائشة قد نعمت بالحياة مع رسول الله، فعلى الرغم من صغر سنها ولين عودها إلا انها لاقت منه صلوات الله وسلامه عليه ما تعجز الاقلام عن وصفه من الرفق في المعاملة واللين والحنان لقد هيا محمد كل اسباب السعادة لعروسه فارتاحت نفس عائشة في بيت النبي، وسكنت نفسها اليه، وفي وسط هذا الجو المملوء بالسعادة كثيرا ما كان يعود بها الخيال البريء الى ايام الطفولة، وقت كانت تسبح في عالم الطفولة البريء وما يحدث في هذا العالم عادة من لعب بالدمى مع اترابها ومن هن في مثل سنها، انه عالم بعيد عن عالم الحياة الزوجية وما يلازم هذا العالم من تبعات ومسئوليات. ان شيئا عجيبا كان يدفع عائشة الى محاكاة ما كانت تفعله وتلعب به في عالم الطفولة على الرغم من انها اصبحت زوجا لرسول الله، ويلاحظ الرسول الكريم كل ما تفعل ويضحك ويضاعف من حنانه لها، وحدبه عليها، وذات مرة كانت تعد الخبز فغلبها التعب فداعب النوم جفنيها فنامت وسهت بالطبع عما في يدها فدخلت الشاة فاكلت العجين ولم تبق منه شيئا ودخل الرسول الكريم وهي على هذه الحال فلم يبد استياءه لما حدث، بل على العكس من ذلك راح يرعاها وبالكلمة الطيبة يشجعها حتى تعتاد هذه الحياة الجديدة وتتمكن من حمل اعباء بيتها وحياتها، انه بهذا كان يعدها للدور العظيم الذي خلقها الله من اجله لتكون اما من امهات المؤمنين.

لقد تعلمت عائشة في بيت النبوة الشيء الكثير، كما عاشت الاحداث التي مرت بها الدعوة وشهدت الامجاد المتلاحقة للاسلام والمسلمين وما فاتتها شاردة ولا واردة من رسول الله، فقد كانت رضي الله عنها اقرب زوجاته الى قلبه، والصق نسائه به، لذلك فقد اخذت عن الرسول الكريم كل ما جد من توجيه وارشاد، وعرفت عنه وحدها اكثر مما كان يعرفه خاصته، ولذلك فهي تقول من باب الفخار ان الوحي لم ينزل عليه صلوات الله عليه في بيت احد من نسائه غيرها، وفوق ذلك فقد كانت ذكية فطنة تدرك ما ترى بمهارة وتسال مستفسرة عما قد يخفى عليها من الامور، وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يمدها بكل ما تريد معرفته، وليس من شك في ان جميع المسلمين قد ادركوا بعمق مدى ما كان لها من مكانة عند الرسول الكريم وعلى سبيل المثال كانوا يخصون اليوم الذي يكون فيه الرسول عندها بالتكريم فيقدمون له هداياهم فيه مما كان له بعض الاثر في نفوس امهات المؤمنين حدثته فاطمة الزهراء في هذا ووسطتها لتكون شفيعة لهن عند والدها كي يسوي بينهن وبين عائشة حتى في توجيه المسلمين الى تقديم هداياهم. وكلمت فاطمة والدها العظيم فيما كلفت به من قبل زوجاته والرسول يسمع من ابنته وهو صامت، واعادت فاطمة الكلام على الرسول وبعد صمت طال ذكر الرسول الكريم اسم الله ورفع وجهه الى فاطمة ابنته الحبيبة وسالها ان كانت تحبه، وعلت الدهشة وجه فاطمة، انها تحبه وتعزه حبا واعزازا يفوقان الدنيا ومن فيها، ومع ذلك فقد اجابته بانها تحبه فقال لها ان كنت تحبينني فعليك ان تحبي ما احب ومن احب. وامرها ان تحب عائشة، لقد قال محمد لابنته بعد هذا ما اراد ان تعرفه امهات المؤمنين جميعا. فليتقين الله في عائشة فوالله ما نزل علي الوحي وانا في فراش واحدة منهن غيرها. وكان نفس شعور الرسول نحو عائشة هو نفس شعورها نحوه، فقد كانت تعرف جيدا شعور الرسول نحوها ولذلك فقد كانت تحبه وتغار عليه.

فقد حدث ذات ليلة والرسول في بيتها ان ارق من نومه، فخرج تاركا الدار واتجه الى البقيع. وكانت هذه عادته كلما شعر بالارق ليهل على سكان القبور ويحادث اهل البقيع ويناجي ارواحهم ويقف لحظات خاشعة امام جلال الموت ـ غير ان خروج الرسول في هذه الليلة ارق عائشة بشدة، ودار في راسها من الافكار غريبها، وتملكتها الغيرة فتخيلت ما لم يكن يحدث، وعاد الرسول ليجدها على هذه الحال فسالها عما بها في حدب وحنان، فلما تكلمت رضي الله عنها وعرف ما الم بها ضحك ثم قال لها: اوغلبك شيطانك يا عائشة؟ وعز عليها ان تكون زوج الرسول وان يكون لها شيطان، فارشدها الرسول الكريم وبين لها ان لكل امرىء شيطانه الذي يوسوس في صدره بما

يريد ساعة تجد فرصته الى تملك الانسان والعبث به، وعرفت عائشة ان الذي الم بها هو شيطان الغيرة، ولكنها استردت نفسها بعد كلمات الرسول الكريم، وتخلصت من كل ما صوره لها ذلك الشيطان اللعين. غير ان الشيطان اذا كان قد اخفق في هذه المرة ولم يستطع ان يؤثر على ام المؤمنين عائشة الا انه حاول من جديد ولم تكن عائشة وحدها في هذه المرة هي هدفه وبيان ذلك:

انه قد تجمع نساء النبي على رسول الله، ورحن يطلبن منه التوسعة عليهن في مطالب الحياة، مادام ان الله قد فتح عليه وايده بالنصر تلو النصر، ومادام ان الفيء قد كثر في ايدي المسلمين ودخلت الاموال بيت المال، واصبحت القبائل تخطب وده، ويبعث رؤساؤها اليه بالهدايا، وبالجملة فقد تصور ازواجه انه اصبح في مكان القادر بما اوتي من عروض الدنيا، واذا كان الامر كذلك فعليه ان يجعل من نسائه نساء تتكاثر عليهن اسباب الحياة الدنيا وزينتها. هكذا صور لهن التطلع وجعله جميلا في عيونهن رغبات النفس التي لا تنتهي. انها مظاهرة، وامام هذه المظاهرة وقف الرواة جميعا موقف الحيرة، انهم يحاولون الوصول الى سبب المطالبة بالتوسعة في النفقة ومن التي فكرت منهن في الامر ثم جمعت بقية صواحبها حولها للتقدم بما يطلبن الى النبي، عساه يجد في اجماعهن على هذا الطلب ما يجعله ينزل على رأيهن فيعطيهن ما طلبن؟

وقال بعض الرواة: ان عائشة وحفصة كانتا صاحبتي الفكرة، ومن ثم انضم بقية امهات المؤمنين الى رايهما.

وقال آخرون ومنهم ابن عباس رضي الله عنه: ان عائشة كانت صاحبة الراي وان ابن عباس سأل في ذلك عمر بن الخطاب فاكد له الراي وان عائشة هتفت باحلامها وصورت فكرتها فطابت لها نفوس امهات المؤمنين وتجمعن على النبي ورحن يسالنه ما لا يملك وما ليس في مقدوره.

والامر سواء ان كانت عائشة وحفصة هما البادئتان بهذا الطلب ام كانت عائشة وحدها، ام كن كلهن صاحبات هذا الراي والاهم من هذا بل المعروف اجماعا ان نساء الرسول قد تجمعن عليه في شبه اصرار يطلبن منه التوسعة وتحقيق رغائبهن الدنيوية والكمالية وانه صلوات الله عليه استمع اليهن في صمت وهدوء دون ان يتكلم. ويذكر الرواة ان هذا الطلب من اجل مضاعفة النفقة قد تم وحضره ابو بكر وعمر وان كلا منهما قام مغضبا فوجا عنق ابنته لتجرؤها على الرسول الكريم ومطالبته بما لم يكن يملك، وان الرسول الكريم خلال هذا كله لم يتكلم بل ولم يتحرك من مكانه وظل هكذا امام هذا الموقف الغريب من نسائه.

انها قضية من نوع جديد، وليست قضية خاصة بنسائه صلى الله عليه وسلم وحدهم. واذا كان الامر كذلك فلا ينبغي ان يكون الراي فيها لمحمد وحده. لان ما يقال حلا لهذا الموقف سينسحب على المسلمات جميعا في كل العصور، واذا كان نساء النبي هن القدوة الحسنة دائما فما يسري عليهن من اوامر او توجيهات يكون ملزما لجميع النساء المسلمات في كل زمان ومكان. لذلك ظل الرسول صامتا لا يتكلم ثم قام من مكانه في هدوء واعتزل نساءه جميعا حتى تردد يومها انه طلقهن. وبالطبع لم يكن قد حدث الطلاق لانه الرسول والقدوة فلو انه طلقهن لكان في هذا ذريعة يلجا اليها كل مسلم تساله زوجته زيادة النفقة، ان الرسول امام هذا الموقف لم يزد على انه اعتزلهن لما في الاعتزال من التاديب والزجر ما فيه.

وطالت مدة الاعتزال شهرا كاملا وهذا منتهى الزجر، بل منتهى التاديب والتوجيه الصحيح، صحيح ان لكل امراة مطالب غير انها لا ينبغي ان تتجاوز حدود مقدرة الزوج، واذا طلبت الزوج من رجلها القادر اكثر مما تطلبه سائر نساء زمنها اتسم هذا المطلب بالخروج عن حد الاعتدال، وهذا هو الشذوذ عن القاعدة.

وشاء الله العلي القدير ان يكون هو الحكم وصاحب الراي في تلك القضية فنزل على الرسول الكريم قوله تعالى: (يا ايها النبي قل لازواجك ان كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين امتعكن واسرحكن سراحا جميلا، وان كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فان الله اعد للمحسنات منكن اجرا عظيما).

وللحديث بقية